طبيعة عمل الأطفال ونطاقه وأنماطه: مقارنة بين حالات الطوارئ السريعة الظهور والأزمات الممتدّة

PHOTO:PLANINTERNATIONAL

يمكن أن تتغيّر طبيعة عمل الأطفال ونطاقه وأنماطه بشكل جذري في حالات الطوارئ أو الأزمات. في الفلبين، ازداد عمل الأطفال في أعقاب إعصار هايان العظيم في العام ٢٠١٣، في حين أدّى اندلاع الحرب السورية في العام ٢٠١١ إلى زيادة عمل الأطفال في لبنان. في كلا البلدين، أدى تأثير الأزمات الاجتماعي والاقتصادي الواسع النطاق إلى زيادة عمل الأطفال وأسوأ أشكاله.

عمل الأطفال قبل الأزمة

الخلفية

في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣، دمّر الإعصار هايان العظيم أجزاءً كبيرةً من منطقة فيساياس في الفلبين. تسبّب الإعصار بقتل أكثر من ٦٠٠٠ شخص ونزوح ٤ ملايين آخرين وتدمير المنازل والأراضي والبنية التحتية والخدمات التي كانت متوفّرة لحوالي ١٤ مليون شخصًا.

قبل الإعصار، كان الأطفال في المناطق المتضرّرة يعملون بشكل شائع في الزراعة بما في ذلك الحصاد والغرس وصيد الأسماك ومزارع جوز الهند وقصب السكر. في المناطق الحضرية، لوحظ عمل الأطفال في قطاع الخدمات مثل الفنادق والمطاعم والنقل والبيع بالتجزئة، وكذلك في قطاع الصناعة مثل التصنيع والبناء وإعادة التدوير وجمع النفايات والتخلّص منها.
شملت أشكال عمل الأطفال الشائعة في المناطق الحضرية والريفية الوظائف في محاور النقل وفي قيادة المركبات التي تجرّها الدراجات الهوائية والدراجات ثلاثية العجلات وفي البناء.

كانت الهجرة والإتجار من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية عاليةً بين المراهقين: غالبًا ما كانت تنتقل الفتيات للعمل كمساعدات في المنزل، بينما يعمل الصبيان المراهقون كعمال مياومين، على سبيل المثال، في البناء. وشملت أسوأ أشكال عمل الأطفال الأخرى العمل المنزلي القسري والاستغلال الجنسي (عبر الإنترنت) والأنشطة غير المشروعة.

الخلفية

كان عمل الأطفال منتشرًا في لبنان وسوريا قبل العام ٢٠١١ ولكن ليس بالقدر الذي انتشر فيه بعد اندلاع الحرب السورية. يستضيف لبنان حاليًا ١,٥ مليون لاجئ سوري، أكثر من نصفهم هم من الأطفال والمراهقين الذين تقلّ أعمارهم عن ١٨ عامًا.

قبل الحرب، كان معدل عمل الأطفال في سوريا ٤ في المئة (٥ في المئة ذكور و٣ في المئة إناث). في كلّ من سوريا ولبنان، كان عمل الأطفال أكثر شيوعًا في قطاع الزراعة. كان عمل الأطفال يشكّل جزءًا من الشركات العائلية وفي التصنيع والتجارة والفنادق والمطاعم والبناء. لطالما كان الإتجار بالجنس موجودًا في سوريا ولبنان، على الرغم من وجود فجوات في البيانات المتعلّقة بالإتجار بالأطفال.

كان تأثير الحرب السورية شديدًا وتفاقم بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية في لبنان. تكافح العائلات السورية من أجل كسب لقمة العيش والبقاء معًا وتلبية الاحتياجات الأساسية التي تشمل الطعام والمأوى. كان هناك ضغط كبير على الموارد والبنية التحتية، وأثّر ذلك على كلٍّ من اللاجئين والعائلات المستضعفة في المجتمعات المضيفة. في الآونة الأخيرة، أدّت أزمة كوفيد-١٩ والانفجار في بيروت في ٤ آب/أغسطس ٢٠٢٠ إلى تفاقم الوضع الهش لآلاف العائلات في بيروت وفي البلد ككلّ.

انتشار عمل الأطفال

- بعد الإعصار، لوحظ ازدياد في مستويات عمل الأطفال وحدّته في المجتمعات المتضرّرة. وشمل ذلك تصعيدًا سريعًا لبعض أسوأ أشكال عمل الأطفال، مثل جمع القمامة في مواقع التخلص من النفايات والعمل المنزلي والنقل (البضائع والأشخاص) وعمل الأطفال الخطر في الزراعة.

طبيعة عمل الأطفال المتغيرة

- أدّت الظروف الأكثر خطورة بالنسبة إلى الأطفال، لا سيما في الزراعة والمزارع حيث يقوم الأطفال بمهام قطع قصب السكر أو الأشجار وإزالة الأنقاض إلى زيادة خطورة الأعمال.
- تمّ تعزيز الأدوار الجندرية التقليدية. وفُرِض على الفتيات والصبيان تولي المزيد من أدوار البالغين مع ازدياد هشاشتهم. في كثير من الأحيان، تولّت الفتيات التنظيف والطهي ورعاية الأشقاء، بينما ساعد الصبيان غالبًا الأهل في أنشطة إصلاح المنزل والأنشطة المدرّة للدخل.
- وبحسب ما ورد، تفاقمت طرق التهريب الموجودة مسبقًا من المناطق الريفية إلى المقاطعات إلى المناطق الإقليمية و / أو الوطنية.
- كما ورد أيضًا أنّ أشكال الاستغلال الجنسي الموجودة سابقًا قد تفاقمت، مثل تجارة الجنس في الشوارع والأسواق والفنادق ودور الضيافة وعصابات بغاء الأطفال المثليين والمتحولين جنسيًا وحلقات الجنس عبر الإنترنت التي تم إنشاؤها حديثًا في الملاجئ والاستغلال الجنسي / الزواج المبكر من قبل الرجال الأجانب الأكبر سنًا (مع الجوانب الإلكترونية لبيع الأطفال) وممارسة الجنس مع العسكريين المحليين الموجودين للاستجابة لحالات الطوارئ وتنفيذ الواجبات، من أجل البقاء على قيد الحياة.

انتشار عمل الأطفال

- أدّت الحرب السورية في لبنان إلى تدهور أوضاع اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة الهشّة. وجدت اليونيسف أنّ عمل الأطفال قد ازداد ثلاث مرات بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٦ بسبب اندماج عوامل الفقر وارتفاع معدلات البطالة التي تشير إلى اقتصاد مرهق وضعف البنية التحتية ومحدودية خدمات الكهرباء والمياه ومحدودية شبكات الأمان الاقتصادي للعائلات.

طبيعة عمل الأطفال المتغيرة

- أظهرت الأبحاث أنّ الأطفال اللاجئين تأثّروا بشكل غير متناسب بعمل الأطفال: فاق عدد الأطفال السوريين عدد الأطفال من جنسيات أخرى في عمل الأطفال. في الوقت نفسه، انخرط عدد متزايد من الأطفال من لبنان في الأعمال جنبًا إلى جنب مع الأطفال اللاجئين والمهاجرين من البلدان المجاورة مثل العراق وفلسطين، لتكملة دخل العائلة نتيجة تدهور الاقتصاد.
- وجدت بعض الدراسات أنّ عمل الأطفال أكثر انتشارًا بين الصبيان، ولكن، حذّر الممارسون من أنّ عدد كبير من الفتيات منخرطات في أنواع «غير مرئية» من الأعمال بما في ذلك الأعمال المنزلية. لوحظ أنّ فتيات لا تتجاوز أعمارهن خمس سنوات يعملن إلى جانب عائلاتهن في المزارع، وتعمل الفتيات المراهقات في العمل المنزلي (من دون أجر) داخل المنازل، وغالبًا ما تتعرّض بشكل كبير لخطر الإساءة والاستغلال (الجنسي).
- استمر عمل الأطفال في نفس القطاعات التي انتشر فيها قبل الأزمة، ولكنه ينطوي بشكل متزايد على مهام وظروف تسبب الأذى للأطفال - على سبيل المثال، في الزراعة حيث ينتشر العمل القسري وعبودية الدين بشكل متزايد بين اللاجئين السوريين. يُجبر الأطفال والبالغون على العمل في مزارع أصحاب الأراضي مقابل الحصول على مكان للعيش فيه.

عوامل الدفع والجذب الجديدة لعمل الأطفال

- ارتفع عدد الأمهات العازبات والأزواج المراهقين الذين يعيشون بمفردهم بعد الكارثة، نتيجةً للتخلي عنهم أو محاولة منهم للحصول على الإغاثة أو المساعدة في سبل كسب العيش. شكل فقر الأسرة وزيادة الأعمال المنزلية أو أنشطة الرعاية وحمل المراهقات عوامل رئيسية للتسرب من المدرسة وزاد عمل الأطفال بين الفتيات المراهقات.
- بعد الإعصار، لوحظ أنّه في بعض المناطق، كان عمل الأطفال أعلى أجرًا ممّا كان عليه قبل الكارثة بسبب نقص العمّال المأجورين. توجّب على مالكي الأراضي الذين يحتاجون إلى اليد العاملة أن ينافسوا برامج «المال مقابل الأعمال» الإنسانية ممّا أدّى إلى زيادة معدلات الأجور اليومية، واعتبر هذا الأمر عامل جذب لانخراط المراهقين بشكل خاص في عمل الأطفال.

أشكال جديدة لعمل الأطفال

- شملت الأشكال الجديدة للعمل القاسي والخطير التي لم تكن موجودة قبل حالة الطوارئ أسوأ أشكال عمل الأطفال. وفي بعض المدن تمّ الإبلاغ عن أشكال جديدة من الاستغلال التجاري والجنسي؛ وكان الأطفال والمراهقون يشاركون في أشكال خطيرة من الصيد في أعماق البحار.
- شارك الأطفال في الأعمال المتعلّقة بالاستجابة الإنسانية، بما في ذلك: إزالة الأنقاض وإصلاح المنازل والاصطفاف لتوزيع (الغذاء) وحمل مواد الإغاثة وجمع النفايات وكنسها والبيع.

عوامل الدفع والجذب الجديدة لعمل الأطفال

- أدّت الضغوط الاقتصادية الكبيرة والمتراكمة على عائلات اللاجئين السوريين ومن الجنسيات الأخرى وعلى العائلات اللبنانية المستضعفة وعدم قدرتها على تلبية الاحتياجات الأساسية، إلى تسرب الأطفال من المدرسة ودفعهم إلى القيام بالأعمال غير المنظّمة، التي غالبًا ما تكون في ظروف عمل سيئة للغاية وخطرة. وأدى الحصار الاقتصادي الأخير على البلاد وجائحة كوفيد-١٩ وانفجار بيروت إلى مزيد من التسرب من المدارس والانخراط في عمل الأطفال.
- يُعتبر تقييد حقوق اللاجئين في العمل أحد أبرز عوامل الدفع الرئيسية لعمل الأطفال بين العائلات السورية. تترك الفرص المحدودة للعثور على الأعمال اللائقة والوصول إلى الحماية الاجتماعية وغيرها من الخدمات للعائلات الضعيفة خيارات محدودة. وأدّى التدهور الاقتصادي الخطير والشديد في لبنان إلى زيادة المنافسة في سوق العمل الرسمي وغير الرسمي.

أشكال جديدة لعمل الأطفال

- قبل أزمة اللاجئين لم تكن ظاهرة أطفال الشوارع شائعة في سوريا؛ غير أنّ الأعداد في لبنان تتزايد بسرعة. فمعظم الأطفال الذين يعيشون ويعملون في الشوارع هم من سوريا. بعضهم وصل قبل الحرب، ولكن غالبيتهم وصلوا منذ بداية الأزمة. الأطفال الذين شوهدوا في الشوارع هم أصغر بكثير من الأطفال الذين كانوا عادة في الشوارع قبل الأزمة.
- تم الإبلاغ عن العمل القسري وعبودية الدين، لا سيما بالنسبة إلى الأطفال السوريين الذين يعملون في الزراعة وفي الشوارع، لدفع الإيجار أو تسوية الديون أو كجزء من مشاركتهم في الجماعات المسلحة / السياسية. يعيش معظم اللاجئين السوريين في مخيمات غير رسمية في مناطق زراعية حيث يشكل مالكو الأراضي (الشاويش) عائلات، بما في ذلك الأطفال، للعمل في المزارع المحلية أو في المطاعم أو في محلات تصليح السيارات مقابل الحق في العيش على أراضيهم.

- ربطت الأدلة القصصية أيضًا عمل الأطفال بشكل مباشر بالاستجابة الإنسانية، لا سيما في خلال تنفيذ برامج سبل كسب العيش وجهود إعادة الإعمار:
  - في بعض مخططات «المال مقابل الأعمال» برزت تقارير عن تسجيل بالغين للقيام بالأعمال، لكن الأطفال هم من يقومون بالأعمال فعليًّا.
  - تمّ الإبلاغ عن مشاركة الأطفال في إنتاج مواد البناء لإعادة الإعمار.
  - لوحظ عمل الأطفال في مجال إزالة أشجار جوز الهند المدمرة على طول الساحل، بتكليف من هيئة جوز الهند (التي كانت مدعومة من قبل الجهات الفاعلة الإنسانية).
- أصبح زواج الأطفال استراتيجية بقاء على قيد الحياة بالنسبة إلى عدد من عائلات اللاجئين اليائسين ماديًّا والعائلات اللبنانية المستضعفة. تواجه الفتيات الصغيرات عددًا من المخاطر بحيث أنّهنّ متزوّجات من رجال مقابل المال ومقابل شعور زائف بالحماية.
- على الرغم من قلّة الإبلاغ عن استغلال الأطفال والمراهقين التجاري والجنسي فإنّ هذه الظاهرة تتزايد نتيجة لأزمة اللاجئين. وبحسب ما ورد، تقوم عصابات الإتجار بالإتجار بالقاصرين والشابات بين لبنان وسوريا ودول أخرى في المنطقة. تشير الأدلة القصصية التي أدلى بها الممارسون في طرابلس إلى أنّ استغلال الصبيان المراهقين الفتيات الصغيرات (جدًّا) جنسيًا مقابل مبالغ صغيرة من النقود أو البضائع.

التغييرات في الأنظمة التي تستجيب لعمل الأطفال

تسبّبت حالة الطوارئ بعبء كبير على العائلات والمجتمعات، وكذلك على البنية التحتية والخدمات والأنظمة القائمة واللازمة للاستجابة بفعالية لعمل الأطفال. تمّ تكليف خدمات الرعاية الاجتماعية بتقديم مجموعة كبيرة من خدمات الاستجابة للأطفال والبالغين؛ ومع ذلك، تأثرت قدرتهم على تحديد وإحالة الأطفال المعرّضين لخطر عمل الأطفال أو المنخرطين فيه بشكل كبير في الأشهر الأولى من الاستجابة للطوارئ.

تمّ إنشاء مسارات إحالة محلية لحالات حماية الطفل والعنف القائم على النوع الاجتماعي تربط ما بين مقدّمي الخدمات الحكوميين وغير الحكوميين الرئيسيين. ولكن، ظلّ توافر وتغطية الخدمات الجيّدة للأطفال المنخرطين في عمل الأطفال محدودًا. ومن بين المعوقات الأخرى نذكر عدم وجود نظام منسق مركزيًا لرصد عمل الأطفال لتسجيل حالات الاتجار بالأطفال وغيرها من أسوأ أشكال عمل الأطفال والاستجابة لها؛ ونقص الموظفين لإدارة مكاتب مكافحة الاتجار عبر محاور النقل البحري والجوي والبري في المناطق المتضرّرة؛ ونقص الملاجئ أو الملاذات الآمنة للنساء والأطفال المنخرطين في عمل الأطفال. قبل الإعصار، نفّذت وكالات مختلفة عددًا من برامج عمل الأطفال الرئيسية، على الرغم من اقتصار هذه البرامج على صناعات معينة أو عدم تغطيتها المناطق المتضرّرة.

زادت الأزمة السورية من الضغوط على العائلات والمجتمعات، وكذلك على البنية التحتية القائمة والخدمات والاقتصاد العام في لبنان. لم تكن قدرة الأنظمة الرسمية على حماية الأطفال من الانخراط في عمل الأطفال كافيةً للتعامل مع أزمة اللاجئين ومع التدهور الأخير في النظام الاقتصادي اللبناني.

تتحمّل الأنظمة غير الرسمية للمجتمعات والعائلات السورية واللبنانية عبئًا كبيرًا لحماية الأطفال حيث كانت استجابات الأنظمة الرسمية لعمل الأطفال محدودة وحيث تجاوز عدد الأطفال العمّال القدرات الحالية. لم تتكيف أنظمة التعليم في لبنان مع الأعداد المتزايدة للأطفال الذين يحتاجون إلى تعليم رسمي. قبل الحرب، أكثر من ٩٠٪ من الأطفال في سوريا كانوا ملتحقين بالمدارس. في العام ٢٠١٨، أقل من نصف الأطفال اللاجئين السوريين الذين هم سن الدراسة في لبنان كانوا ملتحقين بالتعليم الرسمي. في الآونة الأخيرة، لوحظ ازدياد كبير في معدّلات تسرّب الأطفال اللبنانيين من المدارس.

في تموز/يوليو ٢٠١٤، بعد ثمانية أشهر على الإنذار بضرب الإعصار اليابسة، عُقدت ورشة عمل مشتركة بين الوكالات حول عمل الأطفال، جمعت الجهات الفاعلة الحكومية والإنمائية والإنسانية معًا لتصميم استراتيجية شاملة للوقاية والاستجابة.

كانت آليات الوقاية من عمل الأطفال والاستجابة له غير كافية. أثقلت خدمات حماية الطفل بسبب عدد الحالات الكبير وتمّت إعاقة عملها بسبب الافتقار إلى بدائل عن عمل الأطفال بما في ذلك الرعاية العائلية والدعم الاقتصادي المستدام والتعليم المهني وغير الرسمي المناسبين. تتسبّب الثغرات في الإطار القانوني في جعل الأطفال الذين يبلغون من العمر ١٢ و١٣ عامًا عرضةً لعمل الأطفال لأنّهم غير مضطرين ليكونوا في المدرسة. أدّى نقص التمويل ودورات التمويل القصيرة عبر القطاعات إلى صعوبة تنسيق الاستجابة والاستراتيجية للغاية، مع تنفيذ عدد قليل من الحلول الطويلة الأجل.

حبيب ر.ر.، زيادة م.، أبي يونس إ.، وآخرون. (٢٠١٩). «النزوح والحرمان والأعمال الجادة بين الأطفال السوريين اللاجئين في لبنان»، المجلة الطبية البريطانية (BMJ) المجلد ٤، رقم ١.، e001122/1/4/https://gh.bmj.com/content

المزيد من الملومات والمصادر متاحين على:
https://alliancecpha.org
https://alliancecpha.org/en/child-protection-hub/child-labour-task-force